آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية
السنة السادسة عشرة، العدد الأول، الربيع و الصيف ١٤٣٤ هـ.ق، صص ٣٥-٤٨

التوحيد: نشوء وارتقاء

اشرف بروجردی*

الملخص

عندما ندرس أسس العبودية فی الإنسان وعلی صعید کل الکائنات المتواجدة فی عالم الکون، نستشرف إلهاً یوصف بالخالق والرب والقادر والواحد والأحد والذی لا یؤیّن بأین ولا یستوعبه ظرفا الزمان والمکان حیث تواجده خارج نطاقی البادرتین المؤمی إلیهما وإنّما یقضی حاجة الإنسان إلی عبودیة إلاله، یکن علی صلة مباشرة بطبیعة ارتباط المخلوق بالخالق اکثر من معرفته به وهذا بدوره یؤدی إلی اقتناع الإنسان بإله واحد. لم تتبلور فکرة التوحید من حاجة المخلوق إلی عبودیة الخالق إذ من الممکن أن یسلک المخلوق طریقاً یؤدی به إلی متاهات تکن نابعة عن استدراک قد یسلک سبیلاً خاطئاً وبناء علی ذلک حین استعراض تاریخ الفکر الإنسانی لبلورة معرفة المخلوق عن الخالق، نلاحظ تواجد الوحدانیة والثنویة والتثلیث وأحیانا عبادة الأصنام وحتی نفی الإله بالمرة وبالتالی نفی العبودیة.

الکلمات الرئیسة: التوحید، الوثنیة، نفی الألوهیة، أصالة العقل، الدهریة، الثنویة، التثلیث.

١. المقدمة

تعتبر العبودیة ترجماناً لإقتناع الإنسان بوجود إله خالق مقتدر له الحکم یفعل ما یشاء ویقدّر ما یرید. ولقد برزت معالم سلوک الإنسان بصور مختلفة منذ بدء الخلیقة ومن حین تواجده علی وجه البسیطة حیث بادرت الأمم من خلال طقوسها بأداء مدی ولائها للمعبود وترسیم سبل العبودیة. فی خضمّ هذه التغییرات نلاحظ تواجد رسل دعوا إلی عبادة الرب وأسفروا عن

* عضو الهیئة العلمیة بأکادیمیة العلوم الإنسانیة و الدراسات الثقافیة
تاریخ الوصول: ١٣٩٢/١/٢٠، تاریخ القبول: ١٣٩٢/٣/١٥

Archive of SID
www.SID.ir

تمسكهم بعبودية الخالق و وحدانيته ومهدوا الدرب لعبادة إله لـن يسـتوعبه الـزمن ولـم يحيطـه المكان وتتآتى طاعته عبر معرفة بنيت أسسها على ركائز الحقيقة ونادوا بشريعة تمهد الطريق لهذه المعرفة إذ تتجذر شعاب المعرفة فى سلوک تتصف بالطريقـة حيـث مـن الممكـن أن يتعـاطف الإنسان مع الحقيقة عبر الطريقة ولكن يبدو أنه من المستحيل مناوشة الحصول على الحقيقة عبـر الشريعة وحدها.

بعبارة أخرى لقد أكدت هذه النخبة المرسلة بأنّ العبودية تتبلور عبـر قبـول شـريعة تتجـذر أسسها فى الطريقة إذ أن مسالک الطريقة لن تكن على منأى من الشـريعة ولكـن يبـدو لنـا أن هنالک تمايز طفيف بين مفهومى الشريعة والطريقة حيث من الممكن الوصول إلى الحقيقـة عبـر الطريقة ولكن من المستصعب الحصول على الحقيقة عبر الشريعة وحدها إذ أن الشـريعة تسـرد قبول طقوس رسمتها مسارات هذه الأخيرة.

يبدو أن الفلاح يحالف من استمسک بشريعة بنيت أسسها على مسالک الطريقة التى تتبلـور من خلال المعرفة حيث أن الشريعة وحدها تكن عبارة عن معتقدات مجردة من معانيهـا لـو لـم تتبنى أسسها على ركائز من المعرفة التى تتبلور فى مسالک الطريقة والفلاح يحالف من استمسک بشريعة تبلورت على أسس معرفة تتجلى من خلال أضواء الطريقة.

بيد أن دعوة الأنبياء لعبودية الإله الواحد خرجت عـن صـراطها القـويم عبـر الـزمن و إثـر مناوشات الآخرين، و سيقت إلى الثنوية والشرک وعبادة الأصنام أحيانا؛ إذ أن الناس لـم تكـن لهم استيعابات متكافئة متساوية مع بعضها البعض لإسـتيعاب المعرفـة بالكامـل حيـث أن هـذه الاخيرة تكن فى تطور نحو تكامل مستمر تتجلى ثمارها فى عرفان يسـتوعبه الإنسـان حسـب طاقاته البشرية. نلاحظ أن العرفان يتبلور عند سالكى الطريقة اثر علم حضورى يتجلى من خلال إستبصار ومشاهدة يؤديان إلى معرفة الخالق. والمعرفة بدورها تكن عبارة عن معرفـة الآثـار لا الذات الإلهى حيث أن معرفة ذات الألوهية تعتبر مـن المسـتحيل و تكـن فـوق طاقـات الفكـر البشرى. فى ضوء هذه المعرفة تبرز إلى الوجود معرفة الانسان بنفسه وهـذا يـؤدى إلـى معرفـة الخالق حيث أن: من عرف نفسه فقد عرف ربّه. (نهج الفصاحة: حـديث رقـم ٥٤٩٤) فلـنعلم أن الكون بأكمله فى جهد و عمل كى يكتسب الإنسان هذه المعرفة بحذافيرها. وبما أن الإنسان هـو الكائن الوحيد الذى لديه طاقة فذة لإستيعاب سرّ الوجود وإماطة اللثام عـن وجـه الحقيقـة فـى لحظات عابرة ويستلزم سرد ذلک كراراً تواجده فى هذه اللحظات ألا وإن لكم فى الدهر نفحات، ألا فتعرضّوا لها (المجلسى، ١٣٩٦: ٧/ ٢٢١).

إنّ الآنات المتحلية بحلاوة وجود الإنسان تتفاعل مع الكيان الإنسانى وتبلور كينونته بأحلى

www.SID.ir

آیات الکون و لن یعوضها الإنسان بأی بادرة أخری حیث «إن أهل الجنة لا یتحسّرون بشئ من الدنیا کتحسّرهم علی ساعة مرّت من غیر ذکر الله» (نهج الفصاحة: حدیث رقم ١٠٩٧) وعلینا أن نسأل هنا هل بلورة هذه اللحظات لها معطیات خاصة؟ وهل ترتبط بتواجد إرادة فذة؟ أو إنها نابعة عن مصدر عین فیّاض لن یستوعبه الکل؟ والجواب هو أن هذه الحالة تبرز اثر معادلة الأخذ والعطاء وهی معادلة ذات طرفین؛ إذ أن الوجود الإنسانی یمتلک قدرة استیعاب الفیض الربوبی واکتساب العرفان والمعرفة شریطة أن یعرضها الإنسان للنفحات القدسیة وهذه بدورها ترتبط بالارادة الإنسانیة والتی تنبع من ذاتنا وفی هذه الحالة نلاحظ أن الذات الربوبی لن یهملنا ولو للحظة عابرة و لن یرمینا فی بوتقة النسیان بل یفتح لنا مصاریع العرفان والمعرفة بمفاتیح رحمته لأن «من أخلص لله أربعین صباحا، ظهرت ینابیع الحکمة من قلبه علی لسانه» (غررالفصاحة، حدیث رقم ٥١٢٢).

نلاحظ إثر هذه الحقیقة الصارمة أنّ جهودنا وسلوکنا لن تذهب سدی بل تؤدی إلی الحقیقة «سَنُریهِم آیاتِنا فِی الآفاقِ وَفِی اَنْفُسِهِم حتی یَتَبَیَّنَ لَهُم اَنَهُ الحَقْ اَوَلَمْ یَکْفِ بِرَبِکَ اَنَهُ علی کُل شَیئٍ شَهید» (فصلت: ٥٣). والمراد من الذکر الحکیم هو أنّ الإنسان یمتلک طاقة استیعاب حقیقة العالم بحذافیرها لکن ظاهرة کهذه تتطلب سعی الإنسان و أی سرّ یکمن فی هذا الأخذ والعطاء والذی قلّ طالبیه وساعیه علی حد سواء وقلّ الذین یتفکّرون فی مؤلّفات العالم ومکوّناته بالرغم من تعاطیهم المستمر مع معطیات وحقائق العالم الذی یحیطهم ولو أراد الإنسان أن یستوعب مکوّنات الخلیقة فلینظر أولا إلی الآفاق ثم یتفکر فی الخلق ومن بعده یستبصر فی نفسه کی یتقرّب إلی الحقیقة البحتة ویستسقی من فکره الذی یضئ کیانه ویجلی روحه فالفکر مستوعب من العقل والعقل یهدی إلی عبودیة الرحمن حیث أن «العقلُ ما عُبِدَ بِهِ الرَحمان وَاکتُسِبَ بِهِ الجِنان» (غرر الفصاحة: حدیث رقم ٧). ثم بعد ذلک یعرض الإنسان مکتسباته المؤاتیة کی یستمد الخلق منها ویسترشد بها ویتّبع أحسن القول وینقّی خیر ما قیل بهذا الصدد «فبشّر عِبادی الذَّین یَسْتَمِعُونَ القَول فَیَتَبعونَ أحْسَنَه» (الزمر: ١٧، ١٨).

علی هذا الأساس نلاحظ مداولة التوجه إلی العقلانیة فی الأوساط البشریّة حیث أنّ ذوی العقول والنخبة المتفکرّة یبادرون بتنظیم سلوکهم علی ضوء مکتسبات العقل؛ فالفکر الذی ینبع من المعرفة یستوعب الحقیقة وترافقه المحبة والحب لأن المعرفة تعتبر بدایة العشق ومدخلا الیه.

نحاول فی بحثنا هذا أن نتطرق إلی کیفیة نشوء التوحید وعبادة الإله الواحد منذ فجر الخلیقة بغیة ترسیم خارطة الطریق إلی الوحدانیة.

Archive of SID
www.SID.ir

٢. هل التوحيد مضمر فی الذات الإنسانی و فطرته؟

عندما نتصفح المستندات المكتوبة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بألفی عام نلاحظ بالرغم من تواجد مظاهر الوثنية فی الآثار الغير المكتوبة لتلكم الأمم كتقديم القرابين لآلهتهم أو اختصاص الهدايا والنّذر لهم أو طلب الغفران ورفع حوائجهم منهم أنّ المخطوطات المتبقية من هؤلاء الأقوام تشيد إلى عبودية الرب الجليل و الأعتراف بوحدانية الأله. فالمستندات المتبقية من أيام فراعنة مصر أی ألفين عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام تنوّه إلى: «اِنَ اللهَ هُوَ الواحِد الأبدی، اِنَّهُ اَبَدی غَيْرُ مَحدودٍ، وَهُوَ يَدومُ إلى اَبَدِ الدَّهرِ وَقَدْ دامَ طوُلَ أزمانٍ لاتُحْصی وَسَوُفَ يَدُومُ طوُلَ الاَبَدَيهِ كَلُها» (الصباغ، الأحناف، د.ت، ص ٣١). ونلاحظ نفس المفهوم مذكور فی آی الذكر الحكيم: «وَلَئِن سئلتهم مَن خلق السموات والأرض ليقولُنّ اَللهُ» (الزمر: ٣٨). وهكذا نلاحظ نفس المفهوم مذكوراً فی سورة المؤمنون فی آيتی رقم ٨٤ و ٨٩ وكذلک فی الآية التاسعة من سورة الزخرف و التی تشير إلى الكون وخلقه ومكونات الخليقة حينما تطرح الآية أجزاء الخليقة وتسأل المشركين والكفار من الذی خلقهن يقولون الله. ومفهوم كل ذلک أن العبودية تكوّن جزءاً من فطرة الإنسان وتكون متساوية لدی البشر وثانياً أن الإعتراف بوجود إله واحد يكون مضمراً عند البشرية جمعاء «وإذْ أخَذ ربُّکَ مِنْ بَنی آدم مِن ظُهُورهِم ذريَّتهُم وأشهَدَهُمْ على أنفُسِهم ألستُ بربِّكُم قالوُا بَلى شَهدنا أنْ تَقولوا يَومَ القيامَهِ إنّا كُنّا عَنْ هذا غافلين» (الاعراف: ١٧٢). فيكون بذلک نتاج هذه المعطيات الدينية أن نعتبر البشرية بأجمعها عبّاد الله وموحّديه بل يمكننا القطع بأنّ ما ظهر من الشرک و الإلحاد تكن نابعة عن مسار خالفت الفطرة البشرية وذهبت إلى ما هو نقيض من الوحدانية وبرزت إثر ما تبنتها البشرية حين سلكت دروبا شكّكت فی التوحيد وتبنّت الوثنية بعيد ما تنائت عن التوحيد.

وهكذا نلاحظ أن الإنسان قد أقرّ بوحدانية الإله منذ تواجده على وجه البسيطة من منطلق فطرته. إذا علينا أن نتساءل منذ أی زمن برزت فكرة الشرک وتجلّت معالم الوثنية؟ وعلى أية معطيات خالف الانسان بوادر فطرته؟ وكيف يمكننا اجابة هذا السؤال بأن منذ أی وقت ظهر الخلاف فی الفكر البشری كی يتنائی عن الوحدانية والتوحيد ويجعل للاله شريک؟ على هذه الوتيرة نلاحظ أن الإنسان عند نشوئه وتعلّقه بحياة بسيطة كان يتمسک بالوحدانية فی قرارة نفسه فكيف تحول إلى عبادة الأصنام وبادر بنفی الإله الواحد الأحد؟ وفی ضوء أية معطيات برزت الوثنية فی معتقداته؟ و ظهر الشرک فی بوتقة وجوده؟ و كيف يمكننا الإجابة على هذا السؤال الكامن فی وجودنا بأن منذ أی وقت برز الخلاف فی الإعتقاد بأن الله هو الواحد الأحد الفرد و توجهت البشرية نحو الشرک؟ وهل يمكن القول بأن ظهور الرسل فی حياة الإنسان ودعوتهم إلى

www.SID.ir

التوحید من خلال المعرفة وعلی أساس التنویر ونفی ما عداه کی تتکامل معـرفتهم عـن الخـالق والمخلوق وتستکمل الصورة عندهم بدوره أصبح مصـدر نقـاش وتضـارب الآراء؟ أو إن فهـم الإنسان و استیعابه من فکرة الألوهیة هو الذی دفع به إلی الإختلاف فی کیفیـة عبودیتـه حیـث ادعی بضرورة رؤیة الرب کی یعبده؟ أو حسب بعض الآراء والرؤی بـرز الخـلاف علـی رکیـزة اختلاف مصالح الخلق؟

یعتقد العلامة السید الطباطبائی أن الخلافات تتصنف وتکون علی ضربین فمنها ما هو نابع عن الطغیان و الظلم اللذان تتجذران فی ظاهرة الدین وفی نفس الوقت یمکن أن یکون متجـذراً فـی الفطرة والغرائز البشریة والخلاف الثانی الذی یتشعب من أمور دنیویة أدی إلی التشـریع و وضـع القوانین الدینیة حیث بادر الرب إلی تسویة الخلافات البشریة بواسطة الشریعة ونوّر لهـم الـدرب المستقیم والصراط القویم إذ یهدی لصراطه المستقیم أیاً یرید ومن یشاء (الطباطبـائی، ۱۳٦۳: ۳/ ۲۱٤). وهل یمکن القول أن ارتقاء الوعی عند البشر أدی إلی نشوب الخلاف بینهم؟ لعـل الآیـة القرآنیة الکریمة ترشدنا إلی هذه الفکرة حیث: کانَ الناسُ أُمة ً واحِدَة ً فَبَعَثَ اللهُ النّبیینَ مُبَشّـرینَ و مُنذِرینَ وأُنزلَ مَعَهُما الکِتابَ بالحَقِّ لِیحکُمَ بین النّاس فیما اخْتَلَفُوا فیه وَمَـااَختَلَف فیـهِ اِلاَّالَّـذینَ أُوتُوه مِن بَعدِ ما جائَتْهُم البَیّنات بغیاً بَینَهُم فَهَدی اللهُ الَذینَ آمَنوا لِما اخْتَلِفوُا فیهِ بالحَقِّ بِاذِنـه وَاللهُ یَهدی مَن یَشاءَ إلی صِراطٍ مُستقیم (البقرة: ۲۱۳). وکذلک فی سورة البیّنة حیث تسرد الآیة: وَما تَفَرَّقَ الَّذینَ اوتُوا الکِتابَ اِلاّ مِن بَعدِ ماجائَتهُم اُلبَّینه (البینة: ٤). وبذلک نلاحظ أن البیّنـة ظهـرت للذین نزل الکتاب علیهم وبعد نزوله برز الخلاف بینهم. ونحن نتسائل هل البیّنة التی کانت فصـل الخطاب هی التی أدت إلی نشوب الخلافات؟ فی حین أن البیّنة تعتبر الدلیل الواضح فما هی علة اعتبارها منطلقا للخلاف؟ یری المفسّرون أنّ هذه الحالة تتجذر فی الحـالات النفسـیة و خاصـة الحسد و من الصعب حصول دلیل قرآنی لهذه الحالة إذ لا یمکن استنباطها من آی الذکر الحکیم بل ینوّه المصحف الکریم بشکل عام إلی نشوب الخلاف أثر ظهور هذه الحالات وعلی أی حال فإن ارتقاء الفهم البشری وازدیاد المعرفة لدی الإنسان یؤدی بشکل عام إلی استنباطات مختلفـة واستدراکات متضاربة عن مفهوم الدین.

نلاحظ أن الله یشید القول أن أول خلاف نشب فی البشریة ارتفع اثـر التمسـک بالـدین حیث تمکن هذا من تقدیم حلول لهذا الخلاف وفی نفـس الوقـت ینـوّه بـأن هـذه الآلیـة أصبحت رویداً رویداً منطلقاً لخلافات أخری و وجدت أرضیتها فی الـدین نفسـه.علـی أن حاملی هذه الخلافات کانوا هم دعاة الدین وحملته فأخذتهم الحمیة إلی متاهات نشبت من نفسانیاتهم التی کانت تدعوهم إلی الظلم و الطغیان وهذا المفهوم یستسـقی مـن آی الـذکر

www.SID.ir

الحكيم: «وَما كانَ الناسُ اِلّا اُمة ً واحِدَة فَاخْتَلَفُوا ولولا كَلِمَه سَبَقَت من ربک لَقُضِیَ بَینَهُم فیما فیه یختلفون» (یونس: ١٩) وکذلک من الآیة: «وَما تَفَّرَقوُا اِلّا مِن بَعْد ما جائَتْهُم اُلعِلْم َبَغیاً بَینَهُم وَلولا کَلِمَة سبقت من ربک إلی اَجَل مُسَمی لَقُضی بَینَهُم وَاِنَ الذین اَورثوا الکِتابَ مِنْ بَعد هم لفی شک منهُ مریب» (الشوری: ١٤). ولعل ظهور الأنبیاء بین الناس حصل بغیة تمهید الدرب للوصول الی الحقیقة وتنویر الفکر البشری لتطویر سبل الإنارة والإطاحة بالخلاف المتواجد لدی البشریة جمعاء. وهذا ما یعبّر عنه جان ناس حین یقول: وهب الدین فی صورته البدائیة للإنسان طاقة استدراک معالم الطبیعة والتعرف علی ما حوله من القوی الطبیعیة والنفوس البشریة البائدة وأرواحهم و کذلک الطاقة الکامنة فی وجوده کی یسلک دربا متمایزا یؤدی إلی تأسیس منظومة اجتماعیة عبر مسالک خاصة. وبعد مضی زمن علی تلکم البادرة تمکن الفکر البشری أن یتطور وتعرّف الإنسان علی علل الحوادث الطبیعیة ونتاج تتابع الظواهر من خلال التجارب وتبلورت علاقة الإنسان بما یحیطه فی نطاق واسع وتعاطف الفکر البشری مع ناشئة «أرباب الطبیعة» و «کبار الالهة» واثر هذا السلوک إلی فکرة الإله الواحد (ناس، ١٣٥٤: ٥).

نلاحظ من جهة ثانیة أن الله یری هذا الأمر شیئاً متآتیاً مع الفطرة الإنسانیة حیث معرفة الرب تنبع من صمیم الوجود الذی هو صنع الرب: «فأقم وَجْهَک لِلدین حنیفاً فِطرهَ الله التی فَطَرَ النّاسَ علیها لاتَبدیل لِخَلْق الله ذالِکَ الدینِ القَیِّمَ وَلکِنْ اکثَر اَلناس لایَعْلَمونُ» (الروم: ٣٠). تدلّ مفاد هذه الآیة الکریمة علی الجمع بین الفطرة والجهل حیث ترشدنا من جانب إلی أنّ الدین یضمر فی الفطرة البشریة ومن جانب آخر تشیر إلی أنّ أکثر الناس لا یعلمون ولا یمکن الجمع بین هاتین الظاهرتین فکیف الفطرة والجهل؟ إذا یمکن القول بأن نشوء الإختلاف فی الدین ومجانبة الطریق القویم والهدی المستقیم هو نتاج جور العلماء الذین کانوا یحرّفون الکلم عن مواضعه و یبادرون بتأویل کتاب الله (الطباطبایی، ١٣٦٣: ٢/ ٣٣٤). إذاً فالخلاف فی الدین لن تنبع من الفطرة لأن الدین یکون أمرا فطریا و الفطرة لن تتوائم مع الخلاف ومن جانب آخر فإن الفکر وکیفیته یبلور لدی الإنسان طاقة محدودة یصدّنا عن تبدیل نوعیة سرد أفکارنا وتغییره بأشکال أخری حسب تعبیر میشال فوکو الذی یقول: «محاکاة الفکر فی الصمت هو فی الواقع ضرب آخر من الفکر لن یتطرق له الإنسان قط» (فوکو، ١٣٨٢: ٢٨). إلّا إذا کان مسار الفکر مهدیاً نحو استدراک الحقیقة واکتساب معرفة الکون وخالقه و لذلک نلاحظ أنّ المصحف الکریم یضع العلماء فی عداد الألوهیین والمتعرفین الحقیقیین علی وجود الخالق: «اِنَّما یخشَی الله مِنْ عِبادهِ العُلَماءُ (فاطر: ٢٨).

www.SID.ir

٣. تأريخ الألوهية و التوحيد

لا تكون لدينا صورة واضحة عن فجر الألوهية والتوحيد ولكن توجد إيماءات عن عبادة الـرب فی کل الأزمنة والعصور. دعونا نفترض أن الإنسان فی بداية الخليقة من منطلق الفطرة كان موحدا لكن تبدلات الأحوال أدّت به إلى أن يصبح مشركا أو وثنياً إثر التفكر فی معطيات الكون وعـدم استطاعته من تقديم حلول مناسبة الأسئلة كانت آن تطرح نفسها عليه حول مسـتجدات الخليقـة ولأنّ مدى استدراک الإنسان كانت تشوبه النقائص فالأجوبة ظهرت غير متكاملة وبذلک كثـرت الفروض وزادت فی الطين بلّة إذ أن الأجوبة أتت على مقدار استيعاب الإنسان عمّا يحيط به وإثر ذلک نمت وتطورت الفروض بهذا الصدد. على هذا الأساس إنّ إحدى الفرضيات البشرية حـول خالق الكون جاءت بتجسيد إله يكون ملموساً للبشرية تدركه الناس وتقابله وجهاً بوجه وبالتالی جعلت لمظاهر الكون آلهة مما أدى إلى تجسيد تلكم المظاهر فی أوثان جسّـدت الألوهيـة فـی نماذج شتى عبر القرون والأعصار، من الوحدانية إلى عبادة آلهة متفرقة وحتى سلوک الدرب نحو تماثيل تجسد الإله و تبرز أنّ الممثل للخير لن يستطع أن يشيد بالشر وعلى أسـاس ذلـک فـإنّ ربّ الأرباب قد وضع تدبير الأمور حسب معطياتها فی يد مقدرة إحدى الآلهة كـی يـدبّر أمـور الخليقة وبعض هذه الأرباب تخلق «الشرور» أحياناً كالجنّ ولذلک يجب عبادة الآلهة المنسـوبة إلى تلكم النماذج كی تصان الأنفس البشرية منها وحسب ذلک وجدت آلهة للشرّ وآلهة للخير.

من جانب آخر نلاحظ آن الآلهة المتواجدة على هذا النهج تفتقر إلى كونها خالقاً للكون لأن الربوبية قد تقوم بتدبير أمور الكون ولكن تختلف عن كونه خالقاً للبسيطة ونلاحظ أن كل من كان ينسب تدبير أمر الكون إلى آلهتهم لم يتمكن من انتساب الخلق إليها.

من الملاحظ أنّ أهل مصر القديمة وذلک من خلال المستندات والمخطوطات المتبقيّة مـنهم يشيروا إلى أنّ ألوهية أرباب تتميز بهذه الميزة الخاصة؛ وقد تشير الرسوم المتبقية من تلكم الحقب إلى أشكال ملموسة ومحسوسة متمايزة عن بعضـها الـبعض (بـی واريـز، ١٣٨٥: ٥٠٩). ويـرى البعض أن أهل مصر القديمة كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة فی فترات من تاريخهم وقد تداولت فكرة تعدد الآلهة من مصر القديمة فی تاريخ الفكر البشرى خاصة فی قرى وأرياف هـذه البقعـة مـن الأرض والتی أصبحت منطلقاً لتكوين المدنيّة فی كل من الرافدين ومصر ويرجع زمن هذه البادرة الى الألفية الرابعة قبل ميلاد المسيح عليه‌السلام (بمفورد باركز، ١٣٨٠: ٥٩).

تتواجد نظرية أخرى حول هذه الظاهرة تشير إلى أنّ «الإنسان بادر فی بداية أمره إلى عبادة ربّ الكون باعتباره خالق البسيطة وآمر الوجود والخليقة وفعّال السماء و الأرض». لم يظهر هذا

Archive of SID
www.SID.ir

الإله فی الرسوم المتبقية من تلكم الحقب ولم يمتلک الكهّان والرهبان لتقديم الخدمة له وكان شأنه أولى من أن يعبد بواسطة الإنسان و ذوی النفوس ورويداً رويداً غاب هذا الإله عن النفوس البشرية و وضع فی منأی عن متناول الناس بحيث تصور الإنسان أنه لا حاجة إليه وأخيراً قيل عنه بأنه غاب عن الساحة البشرية (آرمسترانج، ١٣٨٥: ١٩). لذلک نجد فی التاريخ أرباب متفرقة يتناول كل منهم جانباً من الخليقة لتدبير أموره لا خلقه وتكوينه. فی ضوء ذلک نلاحظ أن الصابئة و البراهمة و البوذيين بادروا بتجزئة شؤون العالم إلى قطاعات متباينة فجعلوا لكل قطاع الهاً فظهر إله السماء وإله الأرض وإله الحيوان وإله النبات وإله البحار وأصبحوا يعبدون هذه الآلهة بدلاً من الرب الواحد الأحد و يستشفعون بهذه الآلهة للتقرب من إله الكون وبعيد ذلک بادروا بصنع أوثان لهذه الآلهة تظهر ميزات آلهتهم (الطباطبايی، ١٣٦٣: ٢٩/ ٨٩). من الممكن ملاحظة نفس البادرة عند المصريين من خلال الرسوم المتبقية منهم حيث تجسيد الآلهة بأشكال متنوعة تتمايز عن بعضها البعض. عند دراسة تاريخ الأديان و المعتقدات نلاحظ أن الآثار المتبقية من عصر الحجر وما قبله مستندات تفيد إلى صورة مرأة منقوشة ومحفورة على الرخام و يری دارسو معالم التاريخ أن الصورة المتبقية من تلكم العصور آن لم تشر إلى امرأة خاصة وإنما تظهر معالم الأمومة التی تتلخص فی الأنوثة (بی واريز، ١٣٨٥: ٥٠٨).

وأما الآريون لم يبادروا بتقديم القرابين لمعالم الشر والشياطين و لم تكن لديهم طقوس لإزاحة سيئاتهم؟ بل كانوا يقومون بتقديم القربان لمعالم الخير لاستجلاب رضاهم و تبجيلهم بغية اكتساب رضاهم (الرضی، ١٣٤٣: ١١٠). فمن هذا المنطلق بدت ظاهرة بروز الأوثان لمعالم الخير والشر على السواء وهذه الظاهرة حسب اعتقادهم لن تكن منافياً مع الاعتقاد بوجود إله واحد وإثر ذلک بدت ظاهرة الثنوية وبالتالی برزت بادرة الشرک حيث الأرباب بدلاً من «الرب» وحيث تقسيم مهام العالم بينهم لكل منهم مسؤولية ادارة جزء من العالم و كل هذه الآلهة تبادر بعبادة الرب الواحد وكذلک الإنسان لا مناص له من عبادة الرب الواحد إنّما يستشفع بهذه الآلهة كی تقربه من رب الأرباب.

إنّ سلوک هذا الدرب الوعر أدی إلى ظهور الوثنية فی ثنايا التاريخ حيث عبادة آلهة متفرقة أخذت منأی الوثنية إذ أن الخير والشر تعتبران صورة عامة عن كل ما هو مستحسن وغير مستحسن؛ لكن العلامة الجعفری يعتقد أن تاريخ الفكر البشری لن يتوائم مع الثنوية يوما ما فی خضمّ المعتقدات حيث أن الثنوية الحقيقية هی أن نعتقد بوجود إلهين لكل منهما ذات يوصف بواجب الوجود و جامع صفات الخلق و الربوبية لا حد ولا نهاية لكليهما (جعفری، ١٣٦٢: ٢/ ٤٨). و يشير التاريخ أن «مانی» مؤسس الثنوية الذی يراه البعض رسولاً والذی استمرت ديانته

www.SID.ir

لألف عام، أن فی العالم مظاهر الخیر والشر علی السواء وهذا ابن الندیم هکذا یوصف المانویة حسب تعبیره: «أنّ منطلق العالم قام علی أساس کونین احداهما تجلی فی النور والآخر برز من الظلام وکانا منفصلین عن بعضهما البعض» (تقی‌زاده، ١٣٨٢: ١٧١). وعلی سبیل المثال إنّ اعتقاد العیلامیین کانت تتبنی علی رکائز عبادة مظاهر الکون والطبیعة وتتجلی آلهتهم فی أرباب وفور النّعم (الرضی، ١٣٤٣: ٣٥). و کذلک تبرز فی بعض الشرائح الإنسانیة عبادة الشمس وهذا ما تدل علیه الرسوم المتبقیة علی الأوانی الخزفیة المنتسبة إلی تلکم العصور و الملفت للنظر و الانتباه أنّ حیاة قاطنی الفلات کانت تسیر علی درب الاعتقاد برب واحد فکانوا یعتقدون أنّ الخلیقة تکن حبلی بالاحداث ولن تلد جدیداً وعلی خلاف اعتقاد أهل مصر الذین کانوا یعتقدون بذکوریة مصدر الحیاة فإن قاطنی الرافدین جعلوا هذا المصدر منتسبا للأنوثة (المصدر نفسه: ٤٠).

وکذلک نلاحظ أنّ الأقوام التی تبعتهم کالسومریین والآثوریین والبابلیین تبنّوا الإعتقاد بتعدد الآلهة وجعلوهم ضمن مرتبات کانت ترتبط بالخصب والأجزاء المثمرة من العالم (بی واریز، ١٣٨٥: ٤٠). ومن خلال المخطوطات المتبقیة من أقوام مصر وبابل وأرض الرافدین فی الألفیة الرابعة قبل مولد المسیح علیه السلام تشید إلی تدوال تعدد الآلهة فی هذه المناطق من المعمورة (المصدر نفسه: ٥٠٦). فالتوجهات المادیة کانت متواجدة منذ أقدم العصور والأزمنة عبر التاریخ والتی کانت تنسب مصدر العالم للمعالم المادیة وهکذا سایرت هذه التوجهات مع المنطلقات الفکریة القائلة بماوراء الطبیعة وتبنّت الألوهیة وعبادة الرب (مطهری، ١٣٥٠: ١٢). لکن المنطلقات الآنفة الذکر لن تتبدل إلی مدارس فکر ولو أمعنّا النظر فی خلفیة الفکر المأدی لن نری لهذا المنطلق سابقة مفعمة بالفکر المبرمج بل تظهر بصورة شذوات عبر الزمن لن تلفت الانتباه بصورة موسّعة ومن جانب آخر فالتوجه والتمعن فی فکرة الألوهیة و الوحدانیة وعبادة الرب لها تاریخ عریق ترجع بداياته إلی زمن أنبیاء کنوح وابراهیم علیهما السلام حیث اشادتهما بالتوحید وحتی فی عصر أنبیاء کموسی وعیسی سلام الله علیهما نلاحظ مداولة عبادة الرب علی مر العصور والأزمنة بصور مختلفة وکما نوّهنا سابقاً أنّ تواجد فکرة التوحید وعبادة الإله الواحد کان متداولاً عبر العصور البائدة. من هذا المنطلق فلو أردنا أن نستعرض مسار الفکر حول التوحید ومعرفة الرب وخالق الکون نلاحظ فی الوقت نفسه محطّ أقدام الفکر البشری فی تطویر معرفة الإنسان بما یحیطه.

وقبل الاستدراج فی هذا البحث علینا أن نلاحظ أنّ العبودیة تواجدت منذ ابتداء الخلیقة وقبل خلق الإنسان. یشیر الله إلی هذه النقطة الهامة فی المصحف المرتّل بالآیة الکریمة: «یُسَبِّحُ لِلّهِ مافی السَماواتِ وَالارضْ الملکُ القدوسُ العزیز ُالحَکیم» (الجمعه: ١). حیث أن الإله یشید

www.SID.ir

بالفطرة فی مجال معرفة الخليقة والكون حيث توجه الإنسان إلى التوحيد والوحدانية من منطلق الفطرة؛ لكن تطور الفكر البشرى أدى إلى ظهور المدارس المختلفة وبعبارة أخرى لو أننا أردنا استيعاب مراحل تطوير الفكر البشرى سوف نواجه مراحل هذا التطور حسب ما يلى:

١. العهد العتيق؛

٢. القرون الوسطى؛

٣. عصر الأنبثاق؛

٤. عهد الفكر (القرن السابع عشر)؛

٥. عصر التنوير (القرن الثامن عشر)؛

٦. عصر الأمنيات و الفكر المأدى (القرن التاسع عشر)؛

٧. العهد الحديث؛

٨. عصرنا (ويكى بديا، الموسوعة الحرة).

حيث برزت وتواجدت المدارس الفلسفية لدراسة الذات الالوهية خلال هذه العصور والعهود لكن الخوض فی هذه البوادر والظواهر تستلزم بحثاً مشبعاً يقع خارج نطاق ما نحن فيه حيث أنّ الدراسات المؤمى اليها تقع بعيداً عن متناول الأيادى البشرية.

من الممكن أن نعتبر الفكر المادى ونفى الذات الإلهى مساراً لأجتياز ما كانت تشوب الذهن الإنسانى و بالرغم من كل ذلک فإنّ الرؤى المذكورة لن تكوّن مدرسة خاصة بل نضجت على أساس فكرة أو رؤية بيد أنه من المحتمل اعتبار نضوج هذه الرؤى منذ اندلاع عصر التحديث حيث برز إلى الوجود مدرسة تناولت رؤية جديدة إلى الخليقة و الخالق. المراد من المدرسة الفكرية هو تحديد اطار فكرى مرتكز على اصول مرتسمة بغية الوصول الى هدف معيّن يتجلى فی تطوير الفكر. و من المحتّم أنّ هذه المدرسة لها مؤسس استفاد من تجارب الماضين كى يضع أسسها. فی ضوء ذلک لن تكن المدرسة خليقة لحظة عابرة و لن يكن مؤسسها من يتابع هذا النمط من الفكر. انما دراستنا تتناول نمطاً معيناً من الفكر يمكن انتسابه الى عصر التنوير. ظهر تفكيک المدارس الفكرية حينما تطرق الذهن إلى أنّ هل المادة تكون سابقة للمعنى؟ وهل أصل الشى يسبق فكرته؟ فالذين يعطون الأولوية للمادة ويعتبرونها هى الموجدة للمعنى ويعدّون التعيّن منطلقا للذهن يعدّون من الماديين والماترياليين والفرقة التى تتبنّى العكس أى ترى أنّ المعنى هو مُنشئ المادّة هم المتافيزيقيون والمتمسكون بالمذاهب السماوية (مطهرى، ١٣٦٩: ٤٤٣). نلاحظ أن عدداً من المصنّفين يسمّون الفرقتين بالطبيعيين وماوراء الطبيعيين.

www.SID.ir

فكلّما يمُت بصلة الى الطبيعة وكل مدرسة تعتبر الطبيعة مصدراً للخليقة هـى الماتريالية والتـى تأخد تسميات متنوعة خرجت منها تأسيس مدارس الفكر.

فإحدى هذه المدارس هى مدرسة اللاأدريـون (Agnosticism) حيـث واضـعيها تومـاس هاكسلى و روبرت أنجروزل والخيّام و أبو العلاء المعرى ومدرسة اللاألوهيـة (Atheism) التـى شيّدها برتراندراسل ومدرسة نفى الإله واستنكار الرب Non theists والتى وضع أساسها مايكل مارتين وأخيراً المدرسة التى تعرف بمخالفة الإلـه ومواجهـة الـرب Antitheism علـى أيـدى مفكريها كريستوفر هجينز وريشارد داوكينز.

اللاأدرية (Agnosticism) هى مدرسة فلسفية تعالج الصحيح والخطأ فـى شـؤون مـاوراء الطبيعة كالالهيات و الحياة بعد الموت و وجود الخالق والمعالم الروحية والروحانية و تستشـكل وتشكك فى حقيقة العالم و تتبنى عدم مداولة معرفة حقائق الوجود وتـرى هـذه المدرسـة أنّ معرفة جزء أو كل حقيقة الوجود بأكملها أمر مستصعب النّيل ونلاحـظ أنّ كانـت و هيـوم قـد وضعا هذه الفلسفة (ويكى بيديا، الموسوعة الحرة).

اللاألوهية (Atheism) هى المدرسة التى تعتقد بإنكار وجود الآلهـة فهـذه مدرسـة تنكـر وجود الخالق بصورة عامة. نلاحظ أنّ ٢/٣٪ من النفوس البشرية تذهب على هـذا الـنمط مـن الفكر بينما يقارب نسبة الذين يصفون أنفسهم بعدم اتّباع دين ما، ما يقارب ١١/٩٪ من النفوس البشرية (ويكى بيديا، الموسوعة الحرة).

استنكارالرب (Non Theists) أى عدم الرضوخ للخالق يطلق على كـل مـن يعتقـد بعـدم وجود خالق للكون و كذلک على الذين لا يعيرون اهتماماً بوجوده وعدمه.

مخالفة الإله (Antitheism) ضرب من رؤية الكون تتبلـور علـى أسـاس التشـكيک فـى وجود الخالق وينفى تواجده ويطيح بكل الأفكار المتبنيّة إثبات وجود الخالق و يشـير إلـى أنّ فكرة وجود الخالق تكن ذات طبيعة تخريبية وعلى ذلک يجب نفيه بـالمرّة وممـن تبنّـى هـذه الفكرة هما كريستوفرهجينز، وريشارد داوكينز (المصدر نفسه).

إنّ ما يتعلق بقبول الإله والإعتقاد بماوراء الطبيعة يفيـد إلـى وجـود ذات منـتم إلـى الإلـه الواحد الذى استوعبته البشرية من خلال ماوراء الطبيعة يشبه ما أشار اليه أفلاطون فى «مُثُلـه» و هى نظرية تستوعب كل المظاهر المادية للكون. فالوجود الذى يتجلّـى فـى مُثُـل أفلاطـون يحتوى على أربعة ميّزات هى: الجامعية، الوحدة، الكمال و الثّبات (فشاهى، ١٣٥٤: ٢٢).

لكن إله أرسطاطاليس يكون مجرّداً من المادة بل يحتوى على الفكر (الذهنية) والعينية لكن لم يكن أزليّاً بل يعتبر العامل المحرّک للطبيعة حيث أنّ قوة تحريكه تكن نابعـة عـن

www.SID.ir

ذاته فإله أرسطاطاليس هو الغاية القصوى لكل الخليقة والإنسان يكن أقرب موجود اليه (المصدر نفسه: ٣١).

وإله أصحاب مدرسة الفكر والعقل كأبى بكر محمد بن زكريا الرازى والذى ينفى نمط ماوراء الطبيعة التى وضعها أرسطاطاليس يرى الخليقة نتاج خالق الكون حيث يشير هو الآخر إلى المادة لن تصدر عن وجود روحانى بحت وهو يرى بأن العقل و الفلسفة هم العاملان الأساس لمعرفة الكون حيث يقول يشيد: «أنّ العقل هو العامل الوحيد الذى يرشدنا إلى الحقيقة البحتة» (آرمسترانج، ١٣٨٥: ٢٧٥).

إنّ الرؤية الوحيدة التى ترشدنا إلى معرفة الذات الالهى هى الرؤية التى يتبناها الفكر والعقل هو العامل الوحيد الذى يرشدنا إلى الطريق القويم الذى يرتسمه الدين.

وأخيراً فإنّ أصحاب العرفان و المعرفة تمكنّوا من الوصول إلى الحقيقة عبر الشهود التوحيدى فتبنّوا عرفان الخالق على أساسه. فالتجربة العرفانية تمتلك ميزات خاصة تشترك فيها كافة الديانات السماوية فهذا النمط من الفكر والرؤية يرتكز على رحلة نفسانية تقع خارج نطاق المشهودات الخارجية وحتى النصارى أى المسيحيون الذين يتبنون فكرة التثليث والتجسيد وبذلك يقعون فى منأىً عن الفكر التوحيدى يمتلكون تجربة أو تجارب عرفانية لها مشتركات مع ما يتبناه اليهود والمسلمون (المصدر نفسه: ٣٥٠). وفى هذا الصخب نلاحظ أن إله على عليه السلام يحمل صبغة العرفان والعقل والحقيقة حيث يرتسمه فى خطبته كما يلى:

> اَوَلُ الدين معرفَتَه وَكَمالُ مَعرفَته التَصديقُ به وَكَمالُ التَصديقُ بِه توحيدُهُ، وَكَمالُ تُوحيدُه الإخلاصَ لَه، وَكَمالُ الإخلاصَ لَه نَفى الصِفاتِ عَنهُ، لِشَهادَة كُلَ صِفَة أَنَها غَيرَ المُوصوُف، وَشَهادَة كُلُ موُصوفٍ أنهُ غَيرَ الصِفَة، فَمَنْ وَصَفَ اللهُ سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنّاهُ وَمَنَ ثَّناهُ فَقَدْ جَزَأَهُ وَمَنْ جَزَأَهُ فَقَد جَهلَهُ وَمَنْ جَهلَهُ فَقَدْ أشارَ إليهِ وَمَنْ أشارَإليه فَقَدْ حَدَّهُ وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ وَمَنْ قالَ «فيمَ» فَقَدْ ضَمَّنَهُ وَمَنْ قالَ «عَلامَ» فَقَدْ أخْلى مِنهُ. كائِنٌ لا عَن حَدثٍ مُوجودٌ لاعن عَدَمٍ مَع كُلِ شئٍ لا بمقارنَه وغَيرُ كُلُّ شئى لا بمُزايله فاعِلٌ لا بمعنى الحركات والآلة بَصيرٌ اذلا مَنْظورَ إليهِ منْ خلقه، مُتوحِدٌ اِذ لا سَكَنَ يَستأنَسُ بِه وَلا يستوحِشُ لِفَقْده (*نهج البلاغة*: الخطبة الاولى).

يمكن اعتبار كلام على فصل الخطاب بهذا الشأن لمعرفة الخالق. لكننا لن نتمكن من وضع حد للفكر البشرى إذ يذهب هذا الآخر لدربه كى يستمر ويديم التاريخ فى مساره نحو معرفة خالق الكون بالرغم من وجود تحديات للفكر الألوهى حيث كان ولا يزال يجرّب التواجد لكن الرؤية المتواجدة لدى الإنسان تدل على تطوير الفكر الإلهى يوما بعد يوم.

www.SID.ir

۴. النتيجة

١. حاجة الإنسان إلى عبودية الرب تكون ظاهرة نابعة من الفطـرة البشـرية حيـث المسـار التكاملى لهذه الظاهرة واجتياز البشر مراحل متفاوتة عبر التاريخ.

٢. بالرغم من ظهور الأنبياء لتبيين التوحيد فى كل المجالات لا زلنا نواجه تحدياً خطيراً وهو جدل الموحدين و المشركين فى أنّ الرؤية الدينية تستوعب جميع المجالات أم لا؟

٣. يجب على الفلاسفة والمفكرين أن يسلكوا درب معرفة الحقيقة إثر نزول شـأن التمسـک بالدين وهذه بادرة تعانى منها الاجتماعات البشرية حين أن ظاهرة فطـرة الـدين لـدى الوجـود الإنسانى هى ظاهرة تتجلى لدى البشرية جمعاء وتنفى الصفح عن الـدين فـى الوجـود البشـرى حيث الحاجة إلى وجود عال له مرتبة فوق البشر.

٤. استكمال معرفة الرب وعبادته يرجع إلـى قصـة تواجـد الإنسـان علـى وجـه البسـيطة فاستيعاب الخلق بوجود الخالق كان يلوح فى سماء الفكر منذ فجر تواجد الخليقة ولكن بمـا أنّ الإعتقاد بالغيب يكون بحاجة إلى استدراک عميق للعالم وشهوده وتبنّى علم حضورى لا يمكننـا أن نستسقيه عن طريق علم حصولى حيث أنّ هذا يمكنه إثبات الخالق دون التمكن من الوصول إلى يقين نكن بحاجة اليه.

٥. البشرية جمعاء قد سلكت درباً وعراً للوصول الى خالق قادر مدبر واحد أحد رب الجميع فالإله يكون إلهاً وربّاً توصلت البشرية إلى حقيقته عبر دروب هداهم الخالق إليها. فهذا المسلک يرشدنا إلى عبودية الرب، والأمر كذلک عند تبنّينا للتوحيد ومعرفة الإله الواحد الفرد.

المصادر

القرآن المجيد.

آرمسترانج، كارل (١٣٨٥ه.ش). *تاريخ الفكر الألوهى*، طهران: أكاديمية العلوم الإنسانية و الدراسات الثقافية.

بامفورد باركز، هنرى (١٣٨٠ ه.ش). *الآلهة والبشر*، طهران: القصيدة.

بى‌واريز، فيليپ (١٣٨٥ه.ش). *موسوعة تاريخ الفكر البشرى*، نخبة من المترجمين و المنقحين، طهران: سماء.

تقى‌زاده، سيد حسن (١٣٨٢ ه.ش). *معرفة مانى، اشراف ايرج افشار*، طهران: قومس.

جان ناس (١٣٥٤ ه.ش). تاريخ الأديان، الطبعة الثالثة، نشر بيروز، طهران.

جعفرى، محمد تقى (١٣٦٢ ه.ش). *تفسير نهج‌البلاغه*، طهران: الثقافة الاسلامية

رضى، هاشم (١٣٤٣ه.ق). *الديانة القديمة الإيرانية منذ ظهور زراتشت*، طهران: مؤسسة نشر آسيا.

روجه جارودى (١٣٦٢ ه.ش). *معرفة فكر هيغل*، طهران: مؤسسة نشر آگاه.

Archive of SID
www.SID.ir

صباغ، عماد، الأحناف (د.ت). *دراسه فی الفکر الدینی التوحیدی فی المنطقه العربیه قبل الإسلام*، نشر محدود، جامعة الأزهر.
طباطبائی، سیدمحمدحسین (١٣٦٣ ه.ش). *المیزان فی تفسیر القرآن*، قم: مؤسسة النشر العلمی و الثقافی.
غرر الفصاحة (١٣٨٨ ه.ش). *مؤسسة النشر لإمام العصر (عج)*.
فشاهی، محمدرضا (١٣٥٤ ه.ش). *مدخل إلی الفکر فی العصور الوسطی*، طهران: نشرغوتنبرج.
فوکو، میشال (١٣٨٢ ه.ش). *معرفة جذور الفکر*، طهران: نشر جامعة طهران.
المجلسی، محمدباقر (٣٦٩ ه.ش). *بحار الأنوار*، طهران: دائرة النشر الإسلامیة.
مطهری، مرتضی (١٣٥٠ ه.ش). *أسباب التوجه نحو المادیة*، مشهد: طوس.
مطهری، مرتضی (١٣٦٩ ه.ش). *مجموعة المؤلفات*، طهران: صدرا.
نهج‌البلاغة (١٣٧٧ ه.ش). طهران: نشر و پژوهش فروزان روز.
نهج‌الفصاحة (١٣٨٥ ه.ش). طهران: أکادیمیة العلوم الإنسانیة و الدراسات الثقافیة.
ویکیبیدیا، الموسوعة العلمیة الحرة.

Archive of SID

www.SID.ir